

الدعوة للطاعة

أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا

أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا، أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا، لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ، لِيُحْيِيَ شَعْبًا كَثِيرًا (تك ٥٠ : ٢٠).

قال جورج واتسون: "إذا كنت تخاف الله، فلا داعي للخوف من أي شيء آخر؛ ولكن إذا كنت لا تخاف الله، فسوف تكون عرضة لآلاف المخاوف. نحن بحاجة إلى الله أن يساعدنا، ويقودنا، ويبيّن الإيمان فينا. ولأنه يريد أن يبيّن الإيمان فينا، فهو يستمر في العمل معنا. إذا صمدنا، فسوف يستمر في محاولة جعل قصة يوسف قصتنا.

فلننظر إذاً إلى قصة هذا الشاب الرائع يوسف ورحلته من البئر إلى العرش. وبعد أن وصل يوسف إلى القصر، قال لإخوته الذين وضعوه في الجب منذ سنوات عديدة: ... أما أنتم فقصدتم لي شرًا. ولكن الله قصد بذلك خيراً... لينقذ ويحيي أناساً كثيرين على قيد الحياة.

يريد الله أن يأتي بكل واحد من أتباعه – بما فيهم أنت – إلى مكان يؤمنون فيه بكل شر يحدث ضدهم: "سيحلوه الله لخيرنا".

أريدك أن تعلم أن يوسف لم يبدأ بهذه الطريقة. لقد جاء إلى مكان الإيمان هذا من خلال نوايا إخوته الشريرة. ولم يصل إلى هناك بالذهاب إلى مذبح الصلاة. أنت بحاجة إلى مذبح للصلاة وعليك أن تبدأ هناك وتصلي من أجل الأشياء. لكن الأحداث الشريرة في حياة يوسف تطلبت مساعدته على رؤية الخير في قلب الظروف الشريرة.

في السابعة عشرة من عمره، كان يوسف شاباً وطفلاً مدلاً. فصنع له يعقوب قميصاً غالي الثمن متعدد الألوان، وعلم إخوته أن أباهم يحبه أكثر من أي شخص آخر. ثم حلم يوسف أن إخوته سوف يسجدون له يوماً ما. فكر في الأمر: يوسف، هذا الصبي المدلل، تحرك وقال لإخوته: «يوماً ما ستسجدون أمامي ولي». هذا لم يساعد وضعه على الإطلاق، أليس كذلك؟

في أحد الأيام، أرسل يعقوب يوسف للقاء إخوته الذين كانوا يرعون الأغنام في الحقول. فقال بعضهم لبعض بعدما رأوه وهو لا يزال بعيداً: هوذا صاحب الأحلام قادم! ... دعنا نرى ماذا سيحدث لأحلامه (تك ٣٧ : ١٩ - ٢٠).

هذا الشاب دعاه الله . هل يمكنك أن تتخيل أن الله يدعو هذا الشاب المدلل؟ قد تقول: "كيف يمكن لله أن يدعو أو يستخدم شخصاً كهذا؟" فلا عجب أن إخوته أرادوا قتله! لكن تذكر أن الله يستخدم الظروف لتدريبك. الظروف التي تعاني منها والظروف التي لا تحبها، يوجه الله لك الطريق لخيرك حتى تجلس مع ربك في عرشه.

عندما راي إخوة يوسف صاحب الأحلام مقبلاً قاموا بطرحه في البئر! وكانت البئر جافة وخالية ليس فيها ماء ولا طعام. من الواضح أن يوسف لم يكن هناك قائلاً: "يا إلهي، هل هذا يحدث لخيري و لصالحي." تركه إخوته هناك ليموت. ولكن كما أخرج الله من تلك الحفرة، أخرج أيضاً شيئاً من يوسف. وبينما أنت خارج من الحفرة التي أنت فيها، سيخرج الله منك شيئاً! الله رائع ويريدك أن تخدمه! إنه يحاول أن يوصلك إلى مكان حيث يستطيع أن يغير حياتك حتى تتمكن يوماً ما من الجلوس على العرش.

وبعد ذلك، وضع الله يوسف في العبودية. فهل كان ذلك لمصلحته؟ نعم، بيع كعبد كان من أجل مصلحته! تلك الظرف السيئ الذي تمر به في حياتك لخيرك و لصالحك!

بعد ذلك، حقق يوسف بعض النجاحات في مصر في العمل لدى فوطيفار، ثم اتهمته زوجة فوطيفار زوراً، ثم أُلقي في السجن. فهل كان ذلك لمصلحته؟ نعم، كان ذلك يعمل لصالحه! ما أحاول مساعدتك على رؤيته هو أنه مهما كانت التجربة التي تمر بها فهي لخيرك! أنا لا أكذب! يريدك الله أن تدع هذه التجربة تغييرك! مهما كانت التجربة التي تمر بها، فإن الله يعني ذلك لخيرك. الله هو السيد المتحكم في كل الظروف.

بينما كان يوسف في الحفرة (البئر) ثم العبودية وأخيراً السجن، أعتقد أنه ربما كان يصلي بشيء من هذا القبيل: "اللهم أخرجني من هنا!" ولم يستجب الله دعاءه! قد لا يستجيب الله لصلاتك التي تطلب منه أن ينقذك من تجربتك. وقد يخرجك أيضاً من تجربة ما ثم يضعك في تجربة أخرى. لماذا؟ لمصلحتك!

انظر إلى موسى الذي دعاه الله وهو شاب وعلم أن الله دعاه. وفي أحد الأيام خرج ليرى إخوته، فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً من بني إسرائيل، فقتل المصري. أنت تتحدث عن الحماس! أريدك أن تعرف شيئاً: الغيرة شيء رائع، لكن الله لن يبارك الغيرة الشريرة. لذلك يجب أن نتأكد من أن غيرتنا يوجهها الله وإلا فإنه لن يباركها. وبسبب غيرة موسى الشريرة، تركه الله يهرب! لقد دعا الله موسى مثل يوسف، وتركه الله يهرب. فهل كان ذلك لمصلحته؟ ربما ظن موسى أن هذه النتيجة هي للشر، لكن الله قصدها للخير.

فهرب موسى لمدة ٤٠ سنة! وقد قصد الله بذلك خيراً. عندما كان موسى شاباً، كان في قصر الملك، وكان قويا وجباراً في القول والفعل. هذا الرجل الذي استطاع أن يشمر عن سواعده

ويقاتل من أجل الله أصبح الرجل الأكثر وداعة في العالم. لقد أخرج الله منه تلك المعركة – تلك المعركة الخاطئة. هناك صراع يجب أن يكون في داخلك، ولكن ليس من النوع الذي خاضه موسى. أخرجها الله منه خلال تلك الأربعين سنة في وراء الصحراء حيث تعلم الخضوع لله. وعلى العليقة المشتعلة، كان الله هو المسؤول. وكان على موسى أن يخضع. خضع موسى لله، ويقول الكتاب المقدس أننا يجب أن نخضع بعضنا لبعض (أفسس ٥ : ٢١).

هل من الصعب الخضوع والتسليم للرب؟ أتذكر أنني رأيت ذات مرة على إحدى لافتات الكنيسة أن أصعب شيء يمكن القيام به هو "الخضوع والاستسلام". كان على الله – ان جاز التعبير – أن يُنزل بهذا الرجل موسى سريع الغضب والمكتفي ذاتياً إلى أن يكون الرجل الأكثر تواضعاً على وجه الأرض كذلك يستطيع الله أن يفعل ذلك معك حتى تتعلم أن: ... كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله... (رومية ٨ : ٢٨). إذن، ما هو الخير؟ الخير أن نكون مشابهين صورة ابنه يسوع المسيح!

وبالعودة إلى يوسف، قبل أن يتمكن من الجلوس على العرش، كانت هناك بعض الأشياء التي كان عليه أن يتعلمها. أولاً، كان على يوسف أن يتعلم الحب. لم يكن يعرف كيف يحب إخوته: كان فخوراً بنفسه وكان متعجرفاً. وبعد أن ساعده الله في الاختبار لاجتياز العديد من التجارب، تعلم أن يحب إخوته عندما جاءوا إلى مصر لشراء بعض الحبوب، وبكى عليهم بدلاً من التفاخر أمامهم.

شيء آخر، قبل أن يتمكن من الجلوس على العرش، كان على يوسف أن يتعلم كيف يغفر. وقبل أن تتمكن أنت من الجلوس على العرش الذي قدّرك الله أن تكون عليه، عليك أيضاً أن تتعلم كيف تسامح. لن تصل أبداً إلى العرش دون أن تكون قادراً على المسامحة.

كان على يوسف أن يتعلم كيف يغفر، حتى أنه عندما رأى إخوته، لم يكن هناك على الإطلاق أي عداة في قلبه ضدهم – لقد سامحهم تماماً. وليس ذلك فحسب، بل لقد نسي الأمر كثيراً لدرجة أنه لم يعد يزعجه بعد الآن. بعض الناس يسامحون، لكنهم لا يستطيعون التوقف عن الحديث عن ذلك! إذا سامحت حقاً، فلن تتحدث عن الأمر بعد الآن لأنك وصلت إلى مكان لم يعد فيه الأمر يزعجك.

قال يوسف لإخوته: «لا تظنوا السوء بما فعلتم ولا تقسوا على أنفسكم. لقد قصدتم بي شراً، لكن الله قصد به خيراً، ولهذا أحضرنى إلى هنا! أليست عناية الله رائعة؟ أنا أخبرك بهذا لأنه يمكن أن تكون دي قصتك. أنا على ثقة أنك يمكن ان تتمسك بما يقوله الرب لك : "لا تظنوا السوء فيما يحدث لك".

كان على يوسف أن يتعلم كيف يكون رحيماً. كان عليه أن يتعلم هذا وإلا فلن يصل إلى العرش أبداً؛ ولن تصل إلى عرشك أبداً إذا لم تكن رحيماً. سمعت رجلاً يصلي ذات مرة عندما كنت أعقد اجتماعاً نهضوياً ولن أنسى صلاته أبداً: "اللهم ساعدني أن أكون رحيماً بالآخرين كما أريد أن تكون رحيماً بي". سيكون من الرائع أن تتعلموا أن تكونوا رحيماً مع بعضكم البعض.

كان على يوسف أن يتعلم كيف يتغلب على شفقتة على نفسه. لا يمكن أن يكون لديه شفقة على الذات في قلبه، لأن الشفقة على الذات تحاول دائماً إثبات أن الآخرين على خطأ.

إذاً كان يوسف رجلاً قام برحلة، رحلة سنقوم بها أنا وأنت يوماً ما. أتعجب من أن الله يريدنا أن نجلس على العرش! لقد خلق هذا العالم وأرسل ابنه إلى هذا العالم حتى يجد عروساً تجلس معه على العرش! هذا هو ما خلقت من أجله، وقد جعلك في رحلة ليوصلك إلى هناك. لكنه يريدك أن تصل إلى المكان الذي يمكنك أن ترى فيه أن كل ما يحدث لك هو تحت سيطرة الله. هو المسيطر والمتحكم. كان بإمكانه أن يُخرج يوسف من تلك الحفرة! كان بإمكانه أن يضع يوسف على عرش مصر دون أي من هذه الأمور. لكن اختباره الصعبة فقط هي التي جعلته مؤهلاً ليصبح الحاكم الذي احتاجه الله ليخلص الكثير من الناس. حقا كما قال الله: كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله. ومن يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه (رؤ ٣: ٢١).

لمزيد من مقالات القس اسشولتيز قم بزياره لموقعنا www.schultze.org

Reimar A.C. Schultze PO Box 299 Kokomo, Indiana 46903 USA